Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

علاقة الصليبيين في بلاد الشام بالبابوية (النورمان أنموذجا)

Relation of the crusaders in the Levant with the Papacy

MEBROUK BENMESSAOUD مبروك بن مسعود
جامعة محمد خيضر-بسكرة-
-University of Mohamed khider- Biskra
mebrouk.benmessaoud@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام : 2020-11-14 **تاريخ القبول :** 2021-01-02

الملخص:

إن استقرار الصليبيين النورمان في شمال بلاد الشام، وتأسيس إمارة أنطاكية، لدليل على طموحهم في المنطقة، بل كانت إستراتيجيتهم التوسع على حساب المناطق المجاورة. ونتيجة لخسائرهم في الشام وخاصة أنطاكية، أصبح من الضروري على الأمير النورماني بوهمند Bohemond ، أن يوطد علاقاته مع الغرب، وخاصة البابوية لعله يجد دعما لسلطانه في المشرق، كما أن أمراء أنطاكية اللاّحقين حاولوا الاستفادة من دعم البابوية، غير أن هناك تصادم نتيجة تقاطع المصالح، مما جعل الكنيسة تُصدر قرار الحرمان بشأن الأمراء المعارضين لسياستها.

الكلمات المفتاحية:

علاقة، الصليبيين، بلاد الشام، البابوية.

Abstract

The settlement of the Norman Crusaders in the north of the Levant, and the establishment of the Principality of Antioch, is evidence of their ambition in the region. Rather, their strategy was to expand at the expense of the neighboring regions. As a result of their losses in the Levant, especially Antioch, it became necessary for the Norman Prince Bohemond to consolidate his relations with the West, especially the papacy, so that he might find support for his authority in the East, just as the subsequent princes of Antioch tried to benefit from the support of the papacy, but there was a collision as a result of the intersection of interests, This made the Church issue an excommunication decision regarding the princes opposed to its policy .

Key Words Relation, crusaders, Levant , Papacy .

مقدمة:

إن زحف جيوش الغرب اللاّتيني في الحملة الصليبية الأولى باتجاه الشام كان بتوجيه بابوي، إذ أن البابا أوربان الثاني Urban II(1088-1099م) لعب دورا رياديا في إثارة الحماس الديني للمجتمع الغربي، وخاصة الأمراء والفرسان، لذا نراه يعقد آماله عليهم لتحقيق النصر المؤزر على المسلمين، واسترجاع المقدسات المسيحية في بلاد الشام، وبهذا تكون للبابوية اليد العليا في الغرب، بل حتى على العالم المسيحي بشقيه الغربي والشرقي.

إن فكرة الحملة الصليبية على المشرق، لقيت استحسانا وإقبالا كبيرا، لمن كان يريد تحقيق طموحاته وآماله في ما وراء البحار، ونخص بالذكر القائد النورماني بوهمند Bohemond (ت.1111م) بن روبرت جويسكارد Robert Guiscard (ت.1085م)، الذي كان يطمح إلى تأسيس مُلك في الشرق، والذي طالما حلم به.

وهكذا وإن اختلفت النوايا، إلا أن الحملة الصليبية لا زالت ترتبط بتوجيه البابوية، فعند وفاة المندوب البابوي أدهيمار لو بوي Adhemar le Puy (ت.1098م)، عقد القادة اجتماعا، وتم إرسال موفديْن إلى روما يخبران البابا أوربان الثاني بوفاة مندوبه، ويطالبونه بالحضور إلى أنطاكية[1]، وما هذا إلا دليل على أن الحملة لا زالت تدين بالولاء للبابوية في روما، وطمعا في المزيد من المساعدة،كما أن الرسالة تتحدث عن الصعوبات التي تعرضوا لها، من قِبل الهراطقة[2] واليونانيين والنساطرة واليعاقبة، وكل ذلك يزيد من حدة الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية[3].

وعند قدوم المندوب البابوي الجديد دايمبرت بأسطوله من بيزا إلى بلاد الشام، نرى القائد النورماني بوهمند يسعى لتحقيق أطماعه، وكسب تأييد البابوية من جديد، إذ نراه يطلب المساندة من دايمبرت وقيامه بحصار اللاّذقية البيزنطية على الساحل الشامي، غير أنه لم يحقق هدفه[4]،كما أن أنطاكية ستُحظى بالتأييد في ما بعد جراء مساعدة بوهمند لدايمبرت في اعتلاء كرسي البطريركية ببيت المقدس(1099م-1103م)[5]، بمعنى أن إمارة أنطاكية الصليبية أصبحت تُحظى بتأييد البابوية في الغرب، وهذا من خلال اعتراف دايمبرت بإمارة بوهمند على إمارة أنطاكية.

ومن خلال إستراتيجية الصليبيين في شمال الشام، وتعرضهم للهزيمة في مدينة حرّان سنة 1104م، وما نتج عنها من خسائر في الممتلكات الصليبية خاصة أنطاكية، والتي أصبحت في أسوأ حال وليس بإمكان بوهمند مواجهة المسلمين واليونايين، لهذا ترك ابن أخته تانكريد وصيا على الإمارة وغادر باتجاه الغرب، متوعدا بالرجوع وهذا بإثارة الحماس البابوي مرة أخرى وإعداد حملة جديدة[6]. ولكسب التأييد البابوي نراه يهدي كنيسة القديس نيقولاسSaint Nicolas في مدينة باري Bari، خيمة الأمير التركي كربوغا، والتي استولى عليها أثناء هزيمة هذا الأخير في أنطاكية[7]، إضافة أنه أهدى كل ما يحمل من آثار مقدسة إلى الدوائر الكنسية والعلمانية المرموقة صاحبة الكلمة في الغرب اللاتيني[8].

ويقول صاحب كتاب Historia Belli Sacri بأن الجماهير توافدت لتنظر في وجه بوهمند "وكأنهم ينظرون إلى المسيح نفسه"[9]. وفي شهر سبتمبر من سنة 1105م قام بوهمند وصديقه دايمبرت بزيارة البابا الجديد باسكال الثاني Paschal II(ت.1118م)، وكان هذا الأخير من المتحمسين للحركة الصليبية.

وبهذا نستطيع القول بأن بوهمند سيجد عضدا يستند إليه في صليبيته، ولذا قام البابا بإرسال الكاردينال برونو Bruno أسقف سيجني Signi، الذي كان من أتباع البابا أوربان الثاني مندوبا بابويا بصحبة بوهمند للتبشير بالصليبية الجديدة، حتى يكون لتلك الحملة طابعا دينيا وإقبالا جماهيريا مثل صليبية أوربان الثاني. وبذلك مضى بوهمند في السير قدما بالتبشير لحملته، ومن المرجح أنه وصل إلى الفلاندرز Flanders وحلّ بسانت أومير Sait-Omer في 30 من شهر مارس، ومن خلال حماسة البابوية يكون المندوب برونو قد رافقه في رحلته إلى مونزMons.

وفي شهر أبريل تقابل مع أنسلم Anselme رئيس أساقفة كانتربري Canterbury و وليم William رئيس أساقفة روين Roan، حيث تم مناقشة المشروع الصليبي المراد تنفيذه مرة أخرى على بلاد الشام[10].

وفي 26 من شهر جوان سنة 1106م قام المندوب البابوي بعقد مجمع في بواتييه Poitiers، وتم مناقشة بعض المسائل المحلية، كما طُرحت قضية بوهمند والتي أثارت حماس الكثيرين[11].

ويقول سوجر Suger أسقف سيجني :" Astitit etiam ibidem romane sedis apostolice legatus,dominus brunoo,signinus episcopus,domino paschali papa,ad invitandam et confortandam sancti sepulchri viam dominum boamundum comitatus"[12]، ومعنى ذلك (هناك وقف برونو مندوب البابا باسكال، ودعا لتخليص القبر المقدس برفقة السيد بوهمند).كما أن البابا باسكال الثاني عقد مجمعا في إيطاليا أثناء ذلك لاستنفار الشعب في صليبية الأمير النورماني[13]، إضافة إلى أن الأساقفة قد أيدوا بوهمند في فكرته للصليبية الجديدة، حيث كان قد قابل في روما بطرس الثاني Peter II أسقف بواتييه Poitiers، والذي وضع كافة إمكانات أسقفيته في خدمة الأمير النورماني بوهمند[14].

وبعد الدعم الذي لقيه في بواتييه قصد بوهمند مقاطعة أنجو Anjou لجمع المزيد من المنخرطين، ويكون قد اتصل بالدوق جودفري مارتل Godfrey Martel، الذي كان ذا نفوذ في تلك المنطقة، لكن على ما يبدو أن الأوضاع قد تغيرت بعد حدوث خلاف في الكونتية[15].

وطِبقا لرواية إيكهارد Ekkehard فإن بوهمند قد واصل رحلته حتى إسبانيا[16]، وإن تم ذلك فعلا فإن بوهمند كان يدرك مدى حماسة الفرسان الأسبان في حروبهم ضد المسلمين هناك، وبذلك ستجد فكرته آذانا صاغية،كما قام بزيارة مدينة جنوة Genoa ثم انتقل إلى أبوليا Apulia لإتمام بناء أسطوله. ولقد قُدرت قوات بوهمند بحوالي أربعة وثلاثين ألف مقاتل، وفي شهر سبتمبر1107م حضر الأمير بوهمند صلاة القداس في كنيسة القديس نيقولاسSaint-Nicolas في مدينة باري Bari، ثم توجه صوب الشرق في التاسع من شهر أكتوبر سنة1107م. ولقد كانت البابوية هي الموجه الأول للصليبية، حيث أرادت أن تجعل من نفسها رائدة العالم المسيحي غربا وشرقا، وسيدة القرار فيه، معتبرة كل ما يتنافى مع تعاليمها خارج عن الدين، ولاسيما بيزنطة، ويظهر ذلك في مبادرة باسكال الثاني في دعمه لصليبية بوهمند ضد الإمبراطورية البيزنطية بصفة خاصة[17].

وبوصول ريموند بواتييه Raymond Poitiers (1136-1149م) إلى عرش الإمارة، والذي تم ترسيمه من طرف البطريرك رالف Ralf،، حيث أقسم الأمير يمين الولاء والطاعة له، غير أن ريموند سرعان ما انقلب عليه، وحاول ريموند توطيد علاقته بالكنيسة الغربية، إذ نجده يرسل خصوم البطريرك إلى روما والمتمثلين في لامبرت Lambert أحد شمامسة كنيسة أنطاكية وبصحبته أرنولف Arnulf ليلقيا تأييدا من البابا، كما أنه أجبر البطريرك رالف Ralf على الانتقال هو أيضا إلى روما[18]. ولكن بعودة رالف إلى المشرق تم تسوية مشكلته مع الأمير، فإذا ببطرس Peter رئيس أساقفة ليون Leon مبعوث البابا إينوسنتInnocent يصل إلى المشرق لتسوية ذلك الخلاف، غير أنه توفي دون تحقيق هدفه.

ولما استمرت المشكلة بعد موت المبعوث البابوي، انتقل أرنولف إلى الغرب وألحّ على البابا بأن يسوي ذلك، وبهذا أرسل البابا مندوبه إلى المشرق وتم عقد عدة اجتماعات بأنطاكية حضرها الأساقفة ورؤساء الأساقفة، وكان المجمع يلقى تأييدا من الأمير ريموند، وانتهى الأمر إلى خلع البطريرك رالف من منصبه، في حين تم انتخاب ايمري أف ليموج Aimery of limoges بطريرك لأنطاكية[19].

من خلال ذلك نرى بأن البابوية في روما، كانت دوما تريد فرض طقوس الكنيسة الغربية على الكنيسة الشرقية، ويظهر ذلك من خلال تعيين بطاركة لاتين وجعل الكنيسة الشرقية ترتبط معها برباط التواصل.

ونتيجة للصراع حول مشكلة أنطاكية ومعاقبة بوهمند لأعدائه من الهيئات الدينية، ساءت علاقته بالكنيسة كونها الراعي الأول لهذه الهيئات، وبهذا أصدر البابا إنوسنت الثالث Innocent III(1198م-1216م) قرار الحرمان ضد الأمير، كما قام بتحريض الهيئة ضده ومقاومته، بل انتزاع أنطاكية منه لعدم اعترافه ببوهمند كأمير حينذاك[20].

وفي عهد ريموند روبين Raymond Rupen (1216-1219م) تحسنت العلاقة مع البابوية، إذ نجد البابا هونوريوس الثالثHonorius III (1216م-1227م) يضعه تحت حمايته ويوصى به خيراً كل القيادات الصليبية بالشام[21].

وعليه فإن تبعات الصراع بين أنطاكية وأرمينيا الصغرى، كانت نتائجه سلبية على المسيحيين في المشرق، لذا قام البابا هونوريوس الثالث بإعلان الحرمان الكنسي ضد بوهمند الرابع، ردا على انتقامه من هيئة الأسبتارية، ولما شعر الأخير بذنبه وموقف الكنيسة المعادي له بادر بالتقرب من البابوية، إذ نجده يتصالح مع هيئة الأسبتارية في 26 أكتوبر 1231م، ولذلك قام البابا جريجوري التاسع Gregory IX (1227م-1241م) برفع الحرمان الكنسي عنه والاعتراف به أميرا على أنطاكية في 10افريل 1233م، غير أن اعترافه جاء متأخراً فلقد فارق بوهمند الحياة قبل أيام قليلة من هذا الاعتراف.

وبمجيء بوهمند الخامس إلى حكم الإمارتين(أنطاكية، طرابلس)، سلك سياسة مغايرة لسياسة أبيه مع البابوية، إذ نجده يسعى لترضيتها وكسب وُدها، حيث انفصل عن زوجته الأولى آليس Alice أخت ملك قبرص بناءً على أوامر الكنيسة الغربية، لأن هذه الأخيرة اعتبرت زواجهما غير شرعي، خاصة وأنهما تربطهما قرابة من الدرجة الرابعة،كما استمر في إرضائه للكنيسة بأن تزوج من لوسي أف سيجني Lucy of Segni ابنة شقيق البابا إنوسنت الثالث[22]. وبهذا احتفظ بعلاقات طيبة مع روما[23]، واستطاع سنة 1244م أن يحصل من البابوية على تعهد يضمن له عدم إصدار قرار الحرمان ضده إلا من البابا نفسه[24].

وبوصول بوهمند السادس إلى عرش الإمارة، وتولية أمه لوسي الوصاية عليه وتعرض إمارة أنطاكية إلى غزوات الأتراك، طلب هذا الأمير من الملك لويس التاسع مساعدته، والحصول من البابا إنوسنت الرابع (1243م-1254م) على قرار رفع وصاية أمه، ليباشر مهامه بنفسه في إمارته[25]، وفي سنة 1252 صادق البابا على قرار تولية الأمير حكم الإمارة[26]. وبوصول القوة الجديدة المتمثلة في المغول إلى بلاد الشام، قام بوهمند السادس بمحالفتهم مع صهره ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الأول، إلا أن صليبي الشام لم يرضوا بذلك، وأبدوا تخوفهم من المغول، نتيجة أعمالهم التخريبية واعتبروا تصرف بوهمند خيانة لهم وللمسيحية، ولهذا أصدرت الكنيسة قرار الحرمان ضده[27].

الخاتمة:

إن سياسة الصليبيين في بلاد الشام، وخاصة أمراء أنطاكية كانت ناجحة إلى حد ما، خاصة وأن النورمان منذ الوهلة الأولى اتبعوا إستراتيجية التوطن في أنطاكية، وفي الوقت نفسه التوسع على حساب المناطق المجاورة، ويظهر ذلك منذ أن دانت المدينة لبوهمند بن جويسكارد، ونتيجة لخسائر الصليبيين في الشام، وخاصة أنطاكية لجأ مرة أخرى إلى الغرب، لاسيما البابوية الداعم الرئيسي للصليبية، كما سار على نهجه أمراء أنطاكية من أجل دعم ركائز إمارتهم، غير أنه باختلاف سياسة وإستراتيجية كل أمير ، انعكس ذلك سلبا على الإمارة الصليبية.

الهوامش:

[1] أنظر: Runciman, A history of crusads, cambridge University Press, U.S. A,1995, P.256

[2] الهرطقة في التعريف الكاثوليكي، هي الرأي الديني المناقض للإيمان الكاثوليكي، أو هو التشبث بخطأ إرادي يتعارض مع مبدأ
إيماني موحى به، وتعلمه الكنيسة بصفته هذه. كما أن الروم الأرثوذكس يعتبرون اللاّتين هراطقة. للمزيد عن هذا المصطلح، أنظر:
ويلتر(ج)، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، بيروت، ص.17.

[3] أنظر: Runciman,The Eastern Schism, Oxford University Press, NewYork, 1995, PP.86-87.

[4] فوشيه الشارتري، تاريخ الرحلة إلى القدس، ترجمة، جميل زياد العسلي، دار الشروق، عمان، األردن، 1990، ص.81 حاشية(213)؛ عاشور، الحركة الصليبية، ط.2، 1971، مكتبة الأنجلو المصرية، ج.1، ص.344؛حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون 1171-1268م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص.125، حاشية (94).

[5] أنظر، Yewdal(R.B), Bohemond I, Prince of Antioch, A dissertation Presented to the facutly of Princeton University, U.S.A, 1917, P.91. ؛ أنظر أيضا: ماير، المرجع السابق، ج.1،ص.96.

[6] أنظر: Yewdale,op.cit., P.102.

[7] أنظر: Ibid., P.106.

[8] إسحاق عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس إلى سقوط مدينة قسطنطين، دار المعارف، 1970. ،ص.138.

[9] نقلا عن Yewdale, op.cit., P.106.

[10] اسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.ص.138، 141-142.

[11] أنظر: Richard(Alfred),Histoire Des Comtes De Poitou,778-1204,Ed., Alphonse Picard et Fils,Paris,1903,T.,I, p. 449.

[12] أنظر: Suger,Vie de louis le gros, traduction, Auguste Molinier, Ed., Alphose Picard, Librairie des archives Nationale de la société de l'ecole des chartes, Paris, 1887, P.23

[13] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.ص.143-144.

[14] أنظر: Richard,op.cit.,T.I,P.449 .

[15] أنظر: Ibid.,T.I,PP.449-450.

[16] ايكهارد أف أورا Ekkehard of Aura في إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.144.

[17] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.144.

[18] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ج.3،ص.186.

[19] المصدر نفسه، ص.ص.192-199.

[20] نهى فتحي، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي، دار العالم العربي، 2008، ص.70.

[21] حسين عطية، المرجع السابق،ص.301.

[22] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.ص.70- 71 ، 78-79؛ للمزيد أنظر: حسين عطية،المرجع السابق،ص.338.

[23] أنظر: Setton, Ahistory of crusades, the University of madison Press, Milwaukee, 1969. Vol.,II,P.565.

[24] رنسيمان،تاريخ الحملات الصليبية، مملكة عكا، ترجمة نور الدين خليل،ج.3، ص.257.

[25] أنظر، Joinville, histoire de saint louis, . traduction, Natalis de Wailly, Hachette, Paris, 1888, PP.219-220؛ نهى فتحي،المرجع السابق،ص.85.

[26] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.390-391.
[27] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص.90-91.

قائمة المصادر والمراجع:

1- **المصادر**:

- فوشيه الشارتري، تاريخ الرحلة إلى القدس، ترجمة، جميل زياد العسلي، دار الشروق، عمان، الأردن، 1990.
- وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ج.3، 1991.
- Joinville, histoire de saint louis, traduction, . Natalis de Wailly, Hachette, Paris, 1888
- Suger,Vie de louis le gros, traduction, Auguste Molinier, Ed., Alphose Picard, Librairie des archives Nationale de la société de l'ecole des chartes, Paris, 1887.

2- **المراجع:**

- إسحاق عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس إلى سقوط مدينة قسطنطين، دار المعارف، 1970.
- حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون 1171-1268م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
- رنسيمان،تاريخ الحملات الصليبية، مملكة عكا، ترجمة نور الدين خليل،ج.3.
- نهى فتحي، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي، دار العالم العربي، 2008.
- ويلتر (ج)، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- Richard(Alfred),Histoire Des Comtes De Poitou,778-1204,Ed., Alphonse Picard et Fils, Paris,1903,T.,I.

Runciman
-A history of crusades, cambridge University Press, U.S. A,1995.
-The Eastern Schism, Oxford University Press, NewYork, 1995.

Setton Kenneth , A history of crusades, the University of Madison Press, Milwaukee, 1969. Vol.,II.

Yewdal(R.B), Bohemond I, Prince of Antioch, A dissertation Presented to the facutly of Princeton University, U.S.A, 1917.